هوامش

أعلن الفاتيكان أن بابا الكاثوليك فرنسيس سيزور مدينة إزنيك (نيقية)، في تركيا، العام المقبل، في الذكرى الـ1700 لعقد مجمع نيقية المسكوني، ما سيعيد إلى الضوء المدينة التاريخية

مدينة إزنيك التركية متحف مفتوح على الحضارات (سرجين زسكين/ الأناضول)

إزنيك التركية

متحف مفتوح ومقر المجمع المسكوني الأول

إسطنبول ـ **عدنان عبد الرزاق**

يتقاذف العمران التاريخي البيزنطي والعثماني زوار شوارع إزنيك (نيقية)، حيث تكثر الشواهد على تاريخ مكتظ بالعراقة والجدل والحكايات. تحتضن إزنيك كنيسة آيا صوفيا أخرى تختلف عن تلك الموجودة في مدينة إسطنبول، وهي استضافت لقاء المجمع المسكوني الأول المهم في تاريخ الكنيسة عام 325، بدعوة من الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول، والذي شارك فيه جميع الأساقفة المسيحيين.

وربما دفع الفضول حول مجمع «نيقية» البابا فرنسيس إلى تذكر المدينة، وإعلان أنه سيزور خلال العام المقبل ولاية بورصة ومدينة إزنيك الأثرية، التي تضم معالم أثرية وسياحية ضاربة في التاريخ، وتحمل ألغازاً تفوق صفة عوامل الجذب.

تقول المراجع التاريخية إن مجمع نيقية الأول أو المجمع المسكوني الأول، والذي تلته ستة مجامع مسكونية أخرى، بحسب ما يورد تاريخ الكنيستين الرومانية والبيزنطية، عُقد في إزنيك، عاصمة مملكة بيثينية حينها، في حضور الإمبراطور قسطنطين الأول.

وتورد المراجع أن مجمع «نيقية» افتتح جلساته في 20 مايو/ أيار 325، وأن عدد الأساقفة الذين حضروا اللقاء تراوح بين 250 و318، معظمهم من الشرق، وكان الهدف دراسة وتسوية الخلافات في كنيسة الإسكندرية بين الأسقف آريوس وأتباعه من جهة، ومن جهة أخرى بابا الإسكندرية ألكسندروس الأول وأتباعه في شأن طبيعة السيد المسيح الإلهية أو البشرية. وشكل ذلك أول إشكال حول قانون الإيمان المسيحي، ثم بدأت تتشكل علاقة الكنيسة بالسلطة بعدما كانت كياناً دينياً خالصاً.

وقال البابا فرنسيس، في بيان إعلان زيارة تركيا العام المقبل 2025، بمناسبة الذكرى 1700 لانعقاد مجمع «نيقية» الأول: «أريد القيام بهذه الرحلة من كل قلبي». يشرح الباحث التاريخي في ولاية بورصة عمر يلدين، في حديث لـ«العربي الجديد»، أهمية مدينة «إزنيك» التي تقع جنوب شرقي منطقة مرمرة ضمن الحدود الإقليمية لمدينة بورصة، ويقول: «يعود تاريخ إزنيك (نيقية) إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وأدلة عمق الحضارة والتنوع قائمة حتى اليوم، ومن بينها الأسوار التاريخية وكنيسة آيا صوفيا الفريدة، والمسرح الروماني، والخلاصة أن المدينة معرض تاريخي مفتوح يحتضن أيضاً السحر الإضافي للطبيعة والبحيرة». وتأتي كنيسة آيا صوفيا المؤسسة على قواعد ملعب رياضي بمدينة نيقية في مقدمة الآثار المدهشة. وتشير المراجع إلى أنها بُنيت في بداية القرن السابع ميلادياً، في العهد البيزنطي، وخضعت لتجديدات واسعة وإعادة ترميم بعد الزلزال المدمر عام 1065، وجرى رفع مستوى أرضيتها متراً وأربعين سنتيمتراً، وتدعيم جدرانها الخارجية وإدخال تصاميم الأقواس والدعائم، ثم شهدت عام 1331 فصلاً جديداً في تاريخها خلال حكم أورهان غازي، حيث جرى تعديل الصحن وتحويل المكان إلى مسجد مزيّن بمئذنة ومحراب. وتُظهر بقايا المئذنة وتعديلات معمارية أخرى تأثير الفن المعماري العثماني والحرفية الفائقة لعمارة المعمار سنان. وتشبه الكنيسة اليوم، بحسب المتخصص يلدين، في مسيرتها وتاريخها كنيسة آيا صوفيا في إسطنبول وكنيسة تشورا بمنطقة الفاتح.

وفي المدينة القديمة لإزنيك يجري تأكيد السرد التاريخي عبر وقائع تدل على دور المدينة منذ أن كانت عاصمة لمملكة بيثينيا، ولاحقاً نقطة محورية خلال العصر الروماني بعدما عانت من دمار في القرن الرابع قبل الميلاد، وأُعيد بناؤها في عهد قائد متحالف مع الإسكندر الأكبر. ومن الأدلة متحف «نيقية» الذي شيّد عام 1960 في مبنى تاريخي يحمل اسم نيلوفر خاتون، زوجة السلطان أورهان غازي، وهو يعرض كنوزاً أثرية مستخرجة من حفريات في المنطقة، ويحتوي على حديقة تُظهر أبرز معالم العهود الرومانية والبيزنطية والعثمانية. ومن الأدلة أيضاً قلعة «نيقية» التي تعود إلى الحضارة الرومانية، إلى جانب المسجد الأخضر (يشيل كامي)، الذي يحاكي الحضارة العثمانية عبر زخارف مدهشة.

وفي سياق الحديث عن إزنيك لا يمكن تجاهل ينابيع كيراميت الحرارية المعروفة بمياهها التي تعالج مرضى الجلد من أنحاء العالم. وتعتبر هذه الينابيع وجهة مفضلة للباحثين عن الصحة والاسترخاء. أما جوهرة الطبيعة وعامل الجذب الأهم للمنطقة فهي بحيرة «نيقية»، التي تعرف باسم «أسكانيا»، وتعد خامس أكبر بحيرة في تركيا وأكبرها في منطقة مرمرة. وتمتد البحيرة على مساحة تبلغ 298 كيلومتراً مربعاً، وترتفع 85 متراً عن سطح البحر، وتحتضن مجموعة متنوعة من أنواع الأسماك، بينها الليفرك والكارب الأصفر والسمك الفضي. إضافة إلى ذلك، تعتبر البحيرة مركزاً رائعاً لممارسي الرياضات المائية، إذ توفر شواطئ عزت باشا وشاطئ قرية تشاكيركا والكاتدرائية تحت الماء مجموعة متنوعة من الأنشطة وعوامل الجذب والإغراء للسياح والأتراك.

باختصار

دفع الفضول حول مجمع نيقية البابا فرنسيس إلى تذكر مدينة إزنيك (نيقية)، وإعلان أنه سيزورها العام المقبل

■■■

يعود تاريخ إزنيك (نيقية) إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وأدلة عمق الحضارة والتنوع قائمة حتى اليوم

■■■

يعرض متحف نيقية الذي شيّد عام 1960 كنوزاً أثرية وحديقة تُظهر أبرز معالم العهود الرومانية والبيزنطية والعثمانية

وأخيراً

هنا بيروت

نجوى بركات

منذ يومين، مرّت ذكرى 4 أغسطس/ آب 2020، يوم انفجار مرفأ بيروت، الذي دمّر نصف العاصمة اللبنانية (نحو 50 ألف وحدة سكنية)، مُخلّفاً 215 قتيلاً، ونحو 6500 جريح، وخسائرَ قُدّرت بنحو 15 مليار دولار. السلطات اللبنانية عَزَت الانفجار إلى اندلاع حريق لم تُعرف أسبابه (!) في العنبر 12 حيث خزّنت كميّات هائلة من نيترات الأمونيوم، من دون اعتماد أيّ إجراءات وقائية. بالطبع، لا يتوقّع اللبنانيون أن يجرّم المسؤولون، كما لم يجرِ سابقاً الكشف عن العديد من مرتكبي الجرائم والاغتيالات الفردية والجماعية على السواء، باستثناء أهالي الضحايا، الذين ما زالوا إلى اليوم يرفعون صور قتلاهم، مطالبين بكشف الحقيقة.

والحقيقة أنّ الذاكرة اللبنانية باتت معتادةً على هضم تواريخ مؤلمة وكارثية كثيرة، فهي أشبه بوحش ذي فكّين جبّارين يلتهم ويعلك أكثر الأشياء استعصاءً على الهضم؛ الحروب بأنواعها، الكوارث، الدمار، الأزمات غير المسبوقة، الانهيارات الاقتصادية، الاغتيالات، ليعيد بصقها تحت أشكالٍ أخرى من نوع: مقاومة وممانعة، ووطنية عرجاء، ومعارك مفتوحة طويلة الأمد، والويل للخونة والعملاء، أو من نوع: حُبّ الحياة، وقوّة لبنان في ضعفه وحياده، وقرار الدويلة يسيطر على قرار الدولة، ونحن مع نشر الجيش وسيطرة الدولة على أراضيها كافّة، والفيدرالية هي الحل... إلخ...

واليوم (أمس 5 أغسطس/ آب)، تراني أكتب زاويتي في فسحة زمنية ضيّقة جداً، بالكاد تتّسع لفكرة أو فكرتَين، ونحن على أعتاب ضربة ينتظرها الجميع، بل العالم بأسره، لنعرف ما الذي سيجري في أعقابها، بل لنقرّر مصائرَنا الشخصية الصغيرة بكيفية التصرّف؛ الفرار والاختباء لحماية أنفسنا وأطفالنا من مصير يتهدّدنا بالهلاك، للمرّة الألف. هذا مع العلم، أنّنا، قبل موعد نشر المقالة، قد نكون قد أصبحنا، وبناءً على طبيعة الردّ الإيراني، إمّا على أعتاب حرب شاملة تحرق الأخضر واليابس في منطقتنا بأسرها، وهي ما يتوق إليه بنيامين نتنياهو ويخطّط له منذ أشهر، فيما تبدّى من عمليتي الاغتيال الأخيرتَين الاستفزازيتَين في الضاحية الجنوبية وطهران، وربّما أيضاً على أبواب حرب أهلية جديدة في لبنان. هذا من دون أن نُلغي أملاً ضئيلاً بردّ إيراني محدود ومتعقّل، ينزع من يد نتنياهو فتيل التفجير، ويحفظ ماء الوجه في حدّه الأدنى. في أثناء ذلك، يستغلّ اللبنانيون أدنى فسحة للعيش ما زالت متوفّرة، فيتابعون حضور حفلات الصيف الكثيرة التي لم تُلغَ بعد، ويحتفلون بتطويب روما لقدّيسٍ ماروني جديد هو البطريرك أسطفان الدويهي، يمنح المسيحيين أملاً بأنّ وجودهم هنا مُبرّر وقديم، فيما تسير الضاحية الجنوبية في مأتم مسؤولها العسكري رقم واحد، فؤاد شُكر، مُؤكّدة أنّ الردَّ سيكون موجعاً وقوياً، بخلاف المرّات كلّها. لقد أراد لنا حظّنا السيئ، على ما يُردّد اللبنانيون بأكثريتهم، أن نكون في بقعة جغرافية استثنائية

> إنّها لعنة الجغرافيا، ولعنة التوقيت السيئ، ولعنة النكبة، ولعنة إسرائيل، أعتى وأسوأ الأنظمة على الإطلاق

الجمال والطبيعة، وإنّما مُحاطةٌ بتهديداتٍ مستدامةٍ من إسرائيل، في الجنوب (وسورية في الشمال)، فإلى أين المفرّ؟ إنّها لعنة الجغرافيا، ولعنة التوقيت السيئ، ولعنة النكبة، ولعنة إسرائيل، أعتى وأسوأ الأنظمة على الإطلاق. 50 عاماً مرّت في الانتظار، في الأمل البائس مبتور الأطراف الزاحف أرضاً على بطنه، في الترقّب والصلاة واستدعاء الأمل، في حُبٍّ ضائع مهدورٍ غيرَ متبادلٍ مع وطنٍ لا يني يقع ويقوم، فتقع قلوبنا معه وتنهض، لكنّه اليوم، لا يني يقع ويقع ويقع، متدحرجاً نحو قاع لا قرار له.

والحقّ يقال، أنا شخصياً، ما عدت أريد أن أقاوم. أريد فقط فسحة سلام ضيّقة بحجم شجرة وحيدة أتّكئ بظهري إلى جذعها لأُودِّع من تحت أغصانها الوارفة سهولَ لبنان وجباله، وديانه الخضراء وينابيعه الهامسة، لأرسل عينيّ قارباً يطفو على بحره المتوسّطي الجميل، تحت شمسه الحانية، وسعة سمائه الصافية. نعم، بهذه الأنانية، بهذا الانفصال، بهذا النأي، وبذلك القدر من التملّص والانكفاء. لا أريد أن أسمع مزيداً من طبول الحرب، وأصوات الداعين إليها، المُستعدّين أبداً لإحراقنا جميعاً على مذبحٍ لا ربَّ حقيقياً له.

نعم، هنا بيروت.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **دينارات**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**